الفصل الثالث

تكوين وتطور سمات الشخصية

مقدمة:

يرى العديد من علماء النفس أن عملية الولادة هى أول خطوة فى تكوين شخصية الطفل حيث تسهم فى استقلاله عن الأم كليًا فى عمليتى التنفس والاخراج، وجزئيًا فى عملية التغذية.

لهذا نتتبع من خلال هذا الفصل تكوين وتطور سمات الشخصية عند الطفل وكيف يتعلم فى مرحلة الطفولة المبكرة أن يفكر فى ذاته أولاً ثم كيف يفكر فى نفسه داخل اطار العائلة ثم داخل اطار المدرسة والأقران فى مرحلتى الطفولة الوسيطة والمتأخرة.

وقد اختلف علماء النفس فى ادراك مراحل نمو الشخصية حيث ركز فرويد على تطور الدوافع والانفعالات بينما رأى بياچيه وفرنر ضرورة توجيه الاهتمام إلى المعرفة والتفكير التكيفى.

لهذا نستعرض مراحل نمو الشخصية عند فرويد، وعند اريكسون ومراحل النمو المعرفى لبياچيه.

ثم نتناول بعض العناصر المؤثرة فى تطور الشخصية مثل الدور الاجتماعى، التقبل والرفض، السيطرة والخضوع.

وفيما يلى نستعرض النقاط السابقة:

مراحل نمو الشخصية:

يكاد يتفق علماء النفس على أن الشخصية تتكون فى ثنايا التفاعل مع البيئة المحيطة بالطفل بدءًا ببيئة الرحم ثم البيئة الخارجية الطبيعية والاجتماعية.

وتمثل الولادة أول خطوة فى تكوين شخصية الطفل نظرًا لأنها تسهم فى استقلاله عن الأم كليًا فى عمليتى التنفس والاخراج وجزئيًا فى عملية التغذية[١].

وتوجد أدلة على وجود فروق بين الأطفال منذ الولادة فى بعض الخصائص المزاجية تظهرها الفروق فى معدل النشاط، وتؤلف الاستعدادات التى تنمو فيما بعد وتتطور إلى سمات للشخصية.

وعادة ما يلاحظ الوالدان بعض الفروق السلوكية عند الأطفال الرضع وهى النشاط الحركى التلقائى، والقابلية للتوتر، والسلبية ومدى الانتباه[٢].

كما أمكن تصنيف الأطفال الرضع من الناحية المزاجية إلى الأنواع الثلاثة التالية:

١. الطفل السهل Eassy child:

وهو الطفل الذى يبدو عادة فى حالة مزاجية طيبة ويكون النوم والاخراج لديه منتظمًا، كما أنه يتكيف بسهولة للظروف الجديدة أو غير المألوفة.

٢. الطفل الصعب Difficult child:

وهو الطفل الذى لا توجد لديه أنماط منتظمة فى التغذية أو النوم كما يستجيب بشدة لما يفرض عليه أو لما يواجهه من احباط، ويحتاج لزمن طويل حتى يتكيف مع الظروف الجديدة.

٣. الطفل الخامل Slow to warm up child:

ويسميه بعض الباحثين الطفل بطىء التفتح للآخرين حيث أنه قليل النشاط يميل للخمول، ينسحب من المواقف الجديدة، سلبيًا فى سلوكه[٣].

---

(١) سيد محمد غنيم، سيكولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص١٧٥.

(٢) سيد محمود الطواب، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٣) هدى برادة، فاروق صادق، مرجع سابق، ص٨٦.

ولما كانت أبنية الشخصية وعملياتها لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر وإنما تتطلب القيام بعمليات استدلال لملاحظة الاستجابة داخل اطار موقفى معين.

فقد اختلف علماء النفس فى ادراك مراحل نمو الشخصية حيث يؤكد فرويد مثلاً فى تحليله للنمو النفسى تطور الدوافع والانفعالات وبخاصة خلال السنوات الثلاث الأولى من العمر بينما يوجه آخرون أمثال بياجيه وفرنر اهتمامهم إلى المعرفة والتفكير التكيفى.

ونجد آخرين أمثال ايركسون يبقون على النظرة الأساسية لفرويد ولكنهم يدخلون تعديلات واضافات عليها[١].

وفيما يلى نعرض لمراحل نمو الشخصية عند فرويد وايركسون والنمو المعرفى عند بياچيه.

مراحل نمو الشخصية عند فرويد:

اعتقد فرويد أن شخصية الراشد تتشكل خصائصها الأساسية بنهاية السنة الخامسة من العمر، أى أن السنوات الخمس الأولى تكون حاسمة فى تكوين الشخصية.

ولكل مرحلة من مراحل النمو منطقة ترتبط بها وتكون مصدراً للاثارة واللذة[٢].

١. المرحلة الفمية:

وتستمر قرابة العام الأول من حياة الفرد ويكون المصدر الرئيسى للذة مشتق من الفم، ويتركز النشاط النفسى كله حول اشباع حاجة هذه المنطقة[٣].

ويرى فرويد أن للفم خمسة أنواع من الوظائف. الابتلاع، الامساك والاصرار، العض، اللفظ، الاطباق.

وأن كلا من هذه الوظائف يمثل نمطًا بدائيًا أو نموذجًا لعدد من السمات.

---

(١) ريتشارد د. س. لازاروس. مرجع سابق، ص٨٠.

(٢) جابر عبد الحميد، نظريات الشخصية، مرجع سابق، ص٤٠.

(٣) سيجموند فرويد، الموجز فى التحليل النفسى. مرجع سابق، ص٣٧.

ويقصد بالنمط البدائى أسلوب التكيف: ويميل الطفل إلى نفس الأسلوب حيث يواجه بعض المواقف المشابهة فيما بعد أثناء حياته.

فالابتلاع هو النمط البدائى لحب التملك، والامساك والاصرار هو النمط البدائى للحرص والتصميم.

أما العض والأطباق فهى الأنماط البدائية للتخريب والنبذ والاحتقار ثم الرفض.

ويرى فرويد أن بعض أنواع انفصام الشخصية وبعض الأساليب التى تعرب عن عدم التوافق مثل مص الأصابع قد يكون ارتدادًا أو نكوصًا عن المرحلة الفمية[١].

٢- المرحلة الشرجية:

تستغرق هذه المرحلة السنة الثانية من عمر الطفل، وخلال هذه المرحلة يتم تدريب الطفل على الاخراج حتى يتعلم تأجيل اللذة الناتجة عن ازالة مصدر الضيق والتوتر.

ويرى فرويد أن التدريب المؤلم على عمليتى الاخراج قد يمهد لظهور سمات وأعراض مرضية فى المراحل التالية فى النمو تتخذ احدى هذه الصور:

- الامساك أو المنع: سلوك احتفاظى يتخذ صورًا من البخل أو التبذير أو الاهتمام البالغ بالنظام والنظافة بالاضافة إلى الاصرار والعناد والجمود.
- الطرد أو التفريغ: سلوك استبعادى ويتخذ صورًا من التبذير أو الاهمال وعدم النظام[٢].

وقد يشعر الطفل أنه غير مرغوب فيه أو يشعر بالجبن المفرط لكثرة ما يتعرض له من نقد وقسوة.

ومن ناحية أخرى إذا كانت الأم حنونة متسامحة فى التدريب فقد يتكون لدى الطفل فكرة أساسها أن النشاط الاخراجى بالغ الأهمية، وهذا يشكل نوعًا من السلوك يتم تعميقه فى مجالات حياة الفرد الأخرى فيكون منتجًا خلاقًا.

---

(١) سيجموند فرويد، حياتى والتحليل النفسى، ترجمة: جورج طرابشى، ط١، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨١، ص٤٨.

(٢) هدى برادة، وفاروق صادق، مرجع سابق، ص٨٨.

٣. المرحلة القضيبية:

وتستغرق هذه المرحلة عادة الفترة من السنة الثالثة من العمر وحتى السنة الخامسة. وهى من أكثر مراحل النمو تعقيداً عند فرويد، ومن أكثرها اثارة للجدل.

فهذه المرحلة هى مرحلة الصراع الاوديبى وعقدة الكترا.

وعقدة أوديب عند الطفل الذكر اشارة إلى مسرحية سوفوكليس والتى يقتل فيها أوديب أباه ويتزوج أمه. والذكورة المبكرة عند الطفل كما يرى فرويد تحمله على السعى لدى أمه للحلول لديها محل أبيه، فقد ظل أبوه نموذجًا يتطلع إليه بعين الحسد للقوة الجسدية التى يبديها والسلطان الذى يحظى به. أما فى هذه المرحلة فقد صار أبوه منافسًا يقف فى طريقه ويريد أن يبعده عنه[١].

والحل السليم لعقدة أوديب عند فرويد أن ينمو الذكر ليبحث عن زوجة تشبه الأم فى خصائصها.

ومشكلة البنت يشار إليها باسم عقد الكترا وهى تشبه مشكلة الولد فهى تبدأ بالارتباط بالأم فى الطفولة المبكرة، ولكن هذا الارتباط ينتقل بعد ذلك إلى الأب. وعندما يصبح الأب موضوع حب البنت فإنها تواجه بمنافسة من الأم على نحو يماثل حالة الولد وأبيه[٢]. والحل عند فرويد فى هذه الحالة أن تنجب البنت ولداً فيما بعد لتعوض ما فقدته رمزيًا.

ويطلق على مراحل النمو الثلاث السابقة: «المراحل قبل التناسلية» وهى من أهم مراحل نمو الشخصية وتكوينها عند فرويد.

مرحلة الكمون:

وتمتد هذه الفترة من سن السادسة حتى سن الثانية عشرة.

وهى مرحلة تتميز بالهدوء النسبى حيث تميل النزعات الغريزية فى هذه الفترة إلى البقاء فى حالة كبت ويتم اعلاء الطاقة الغريزية وتوجيهها إلى اهتمامات عقلية ورياضية وإلى العلاقات مع الاتراب.

---

(١) سيجموند فرويد، الموجز فى التحليل النفسى، مرجع سابق، ص٩٠.

(٢) ريتشارس. س. لازاروس، مرجع سابق، ص٨٢.

ويعتقد فرويد أنه خلال هذه الفترة بالتحديد تتكون الانا الأعلى خلال عملية التوحد الدفاعية، فبواسطة ميكانزم «التوحد مع المعتدى» يمتص الطفل القيم الخلقية والسلوكية للوالد، وعن طريق تشبهه بالأب خلال عملية التوحد يكتسب الأبن رضا الأب وموافقته وبذلك لا يصبح مصدر خوف بالنسبة له[1].

المرحلة التناسلية:

وهى المرحلة الأخيرة والتى تبدأ مع البلوغ وتنتهى قبيل الشيخوخة وهى أطول مراحل النمو زمنًا، ويتحول الطفل ببلوغ هذه المرحلة من الانانية والبحث عن اللذة إلى الايثار و التطبيع الاجتماعى الواقعى، والاهتمامات الجنسية الغيرية التى تؤدى إلى الزواج، وهى مرحلة نشأة الميل الجاد إلى التقدم المهنى والقيام بمسئوليات الراشد[2].

ولعل أهم الانتقادات التى وجهت إلى فرويد بعد عرضنا لمراحل نمو الشخصية لديه فشله فى اعطاء وزن مناسب للتأثيرات الاجتماعية وافتراضه أن الجنس هو الشغل الشاغل للجميع.

مراحل نمو الشخصية عند اريكسون:

يرى اريكسون أن هناك ثمانية مراحل متتابعة للنمو، وأن هذه المراحل متى تمت وفقًا لخطتها تؤدى إلى شخصية تقوم بوظائفها على نحو تام.

وعنده تتكون الشخصيات كلما تقدم الناس فى المراحل النفسية الاجتماعية خلال الحياة، ويوجد فى كل مرحلة جديدة صراع يواجه ويحل كما يوجد لكل صراع حل ايجابى أو سلبى.

ويظهر الحل الايجابى فى الصحة النفسية بينما يقود الحل السلبى إلى سوء التوافق.

والمراحل الثمانية عند اريكسون كالتالى:

---

(١) سيد غنيم، سيكولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص١٧٣.

(٢) جابر عبد الحميد، نظريات الشخصية، ص٤٤.

١. مرحلة الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة:

وتمتد خلال العام الأول من حياة الطفل وتتطابق مع المرحلة الفمية عند فرويد.

وخلال هذه السنة يواجه الطفل صراعًا بين الثقة وعدم الثقة، وتعد العلاقة مع الأم فى هذا الوقت هامة للغاية، فإذا أطعمت الأم الصغار وجعلتهم يشعرون بالدفء والراحة فسوف ينمى هذا الشعور بأن البيئة آمنة وسارة وتتولد الثقة.

وعندما تفشل الأمهات فى مواجهة هذه الحاجات، ينمو لدى الصغار المخاوف والشكوك وتتولد عدم الثقة[١].

٢. الاستقلال الذاتى مقابل الخجل والشك:

خلال العام الثانى والثالث من حياة الطفل وتوازى المرحلة الشرجية عند فرويد وفيها يواجه الأطفال الاستقلال الذاتى مقابل الخجل والشك، فلأن طاقاتهم تنمو بسرعة، فهم يحبون الجرى وتركهم يروحون ويجيئون فإذا شجع الوالدان الأطفال حتى يقفوا على أقدامهم ويمارسوا قدراتهم الخاصة فسوف ينمى الصغار ضبط العضلات والحاجات البيئية، أما إذا استعجل الوالدان أو منعا الأطفال من استخدام مهاراتهم فإنهم يتعرضون للخجل.

٣. المبادأة مقابل الشعور بالاثم:

من سن الثالثة حتى الخامسة وتوازى المرحلة القضيبية عند فرويد.

وفى هذه المرحلة يجد الطفل تحدياً من عالمه الاجتماعى لكى يكون نشطًا، ولكى يتقن الأعمال الجيدة والمهارات.

ويظهر اهتمام الأطفال بالعمل مع الآخرين وتجريب الأشياء الجديدة، فإذا حاول الوالدان أن يفهما ويقبلاً دوراً نشطًا فإن الأطفال يتعلمون الاقتراب مما يرغبون ويعزز احساسهم بالمبادأة، وإذا كان الوالدان غير صبورين ويميلان إلى معاقبة الأطفال على نشاطهم تعزز الشعور بالأثم[٢].

---

(١) أمال صادق، فؤاد أبو حطب، مرجع سابق، ص١٣٠.

(٢) ليندا. د، دافيدوف، مرجع سابق، ص٥٩٠.

٤. الاجتهاد مقابل القصور:

وهى فى الفترة من ٦ سنوات حتى الحادية عشرة وتماثل مراحلة الكمون عند فرويد، وخلال هذه المرحلة يدخل الطفل المدرسة ويتوقع أن يتعلم المهارات الأولية لثقافته من خلال التعليم.

وعندما يشعر الأطفال أنهم أقل كفاءة من أقرانهم فى التحصيل والمهارات والقدرات، ينمو لديهم الاحساس بالقصور أو الدونية.

أما الأطفال الناجحون فيظهرون مع شعورهم بالكفاءة الاحساس بالإنتاجية.

٥. مرحلة هوية الانا مقابل تميع الدور:

من سن ١٢-٢٠، وفيها يواجه الإنسان أزمة الهوية، فعلى المراهق أن يجمع بين تصورات عديدة للذات فى تصور واحد ويختار مهنة ونمطًا معينًا للحياة.

وعندما يحرز الشباب الثقة والاستقلال الذاتى والمبادأة يمكن أن يجدوا ذواتهم على نحو يسير.

ويرى اريكسون أن أساس المراهقة الناجحة وتحقيق هوية متكاملة موجود أصلاً من الطفولة المبكرة، فبالاضافة إلي ما يجلبه الأفراد معهم من الطفولة تتأثر تنمية الهوية لدى المراهقين بالجماعات الاجتماعية التى يتوحدون معها[١].

٦. الالفة مقابل العزلة:

سن ٢٠ حتى ٢٤ سنة، وفيها يستعد الأفراد لتكوين الروابط الاجتماعية التى تتميز بالاهتمام والمشاركة والثقة.

والأشخاص الذين ينقصهم الاحساس بالهوية الشخصية يقضون وقتًا صعبًا فى تكوين العلاقات الحميمة، فهم يعزلون أنفسهم أحيانًا، وأحيانًا يقيمون علاقات محدودة تنقصها التلقائية والأصالة.

(١) جابر عبد الحميد، نظريات الشخصية، مرجع سابق، ص١٧٧.

٧. الإنتاجية مقابل الركود:

من سن ٢٥ إلى ٦٥، ويعتبر الشخص منتجًا حين يبدأ فى الاهتمام بالمستقبل والجيل الجديد حيث يرى اريكسون أن اهتمام الناس النشط ومحاولة جعل العالم مكانًا أفضل من الأمور التى تعمل على تعظيم الذات، أما الانشغال الكامل بالذات فيؤدى إلى الركود.

٨. تكامل الانا مقابل اليأس:

عندما تقترب رحلة الحياة من نهايتها يظهر التكامل عندما يشعر الأفراد بالرضا ويقبلون على حياتهم كشىء قيم، أما اليأس فإنه يقيد الأفراد الذين يشعرون أن حياتهم هى شىء ضائع.

مراحل بياچيه للنمو المعرفى:

إذا كان فرويد ركز على نمو العمليات الدافعية كالدوافع الجنسية والمشاعر المتصلة بها فقد ركز بياچيه على النمو المعرفى أى على العمليات العقلية المميزة للنمو من الطفولة إلى الرشد.

ولقد حدد بياچيه مرحلتين من المراحل التى يتطور خلالها التفكير العقلى:

- المرحلة الحسية - الحركية Sensori - motor
- المرحلة التصورية Conceptual[1]

١. المرحلة الحسية - الحركية:

وتبدأ من الميلاد حتى نهاية العام الثانى من عمر الطفل وتنقسم إلى ستة مراحل فرعية:

١. المرحلة الأولى: تمتد من الميلاد حتى نهاية الشهر الأول: ينهمك الطفل أساسًا فى أفعال منعكسة.

٢. المرحلة الثانية: من شهر إلى أربعة شهور وهى مرحلة الاستجابات الدائرية الأولية كأن يمسك الشىء ويتركه عدة مرات.

(١) ريتشارد. س. لازاروس. مرجع سابق، ص٨٩.

٣.المرحلة الثالثة: من سن ٤ شهور إلى ٨ شهور وهى مرحلة الارجاع الدائرية الثانوية وفيها يكرر الطفل القيام بأفعال تحدث تغييرات سارة فى البيئة كأن ينظر إلى الشخشيخة ويحبو حتى يمسكها[١].

٤.المرحلة الرابعة: وهى مرحلة التآزر بين الاستجابات الثانوية. حيث يبدأ الطفل فى حل مشكلات بسيطة من خلال استعمال استجابات سبق السيطرة عليها.

٥.المرحلة الخامسة: من سن ١٢ شهر حتى ١٨ شهراً وهى مرحلة الاستجابات الدائرية الثلاثية وتعنى التكرار الذى يهدف إلى التجريب.

٦.المرحلة السادسة: مرحلة التجميعات العقلية وهى المرحلة التى تنمو فيها اللغة مما يسهل على الطفل تكوين المفاهيم الاسمية أو الصور اللفظية للأشياء[٢].

وخلال المراحل الست السابقة تعلم الطفل تنظيم أفعاله أى أنشطته الحركية، وإدراكاته عن نفسه وعن العالم الخارجى. وقد بدأ يكتشف ذاته ويتعرف على الإطار المرجعى فى العالم الذى يجد نفسه فيه[٣].

١. المرحلة التصورية:

من سن عامين حتى سن ١١ عامًا وهى أطول فترة من مراحل النمو المعرفى وتنقسم إلى أربعة مراحل:

١.مرحلة ما قبل المفاهيم Preconceptual:

وهى مرحلة تجميع وحدات المعلومات عند الطفل أى مثيرات ترمز لأشياء أخرى فعندما يسير طفل على الشاطىء ويرى قوقع فإنه يشير فى كل مرة إلى أى قوقع يراه فى طريقه[٤].

٢.مرحلة التفكير الحدسى intivitive thought:

وتمتد من الرابعة إلى السابعة وتتضمن تكوين صور أكثر تعقيداً إلا أن التفكير

(١) محمود الزيادى. أسس علم النفس العام، مرجع سابق، ص١٦٤.
(٢) امال صادق. فؤاد أبو حطب. مرجع سابق، ص١١٣.
(٣) سعدية بهادر. مرجع سابق، ص١٧١.
(٤) المرجع السابق، ص٢١٨.

يستند إلى خصائص حسية بسيطة ولم ينفصل بعد مفهوم الشيء عن الخبرة الادراكية العينية فإذا قدمنا وعاءين قصيرين فى نفس الشكل والحجم للطفل ونملأهما بالخرز، فإن الطفل فى الرابعة يدرك أنهما يحويان نفس العدد من الحبات، فإذا افرغت محتويات أحدهما فى وعاء طويل فإنه يكون ميل إلى الاعتقاد بأن الوعاء الطويل يحوى حبات أكثر، فإرتفاع الوعاء يتعادل حدسيًا مع الكمية التى يحتويها(١).

٢.مرحلة العمليات المحسوسة أو العيانية Concrete operations:

فى هذه المرحلة تنمو لدى الأطفال القدرة على استخدام المنطق ويتوقفون عن الاعتماد بدرجة كبيرة على المعلومات الحسية البسيطة فى فهمهم لطبيعة الأشياء.

وتمتد هذه المرحلة من سن السابعة حتى الحادية عشرة ففى هذه المرحلة تنمو القدرة على تمييز المظهر من الواقع والصفات المؤقتة من المستديمة فإذا صب عصير البرتقال من زجاجة قصيرة واسعة إلى أخرى طويلة وأقل اتساعًا فإن الطفل يستخدم العمليات المحسوسة ويستنتج أن كمية العصير لم تتغير لعدم استبعاد شيء منه(٢).

ويميل الأطفال خلال هذه المرحلة إلى حل المشكلات بالمحاولة والخطأ بدلاً من التفكير فى عدة حلول ممكنة واستبعاد الغير صالح منها.

٣. مرحلة العمليات الصورية:

من سن ١١ سنة إلى ١٥ سنة. و فى هذه المرحلة تتطور لدى الأطفال القدرة على فهم المنطق المجرد.

وفى نهاية المرحلة يصبح الفرد قادرًا على معالجة الواقع بكفاءة بل وعلى النظر فى الاحتمالات فهو يستطيع أن يفكر بصورة تجريبية وأن يضع الفروض ويختبرها(٣).

(١) ريتشارد. س لازاوروس، مرجع سابق، ص٩١.

(٢) ليندا. ل. دافيدوف، مرجع سابق، ص٣٩٣.

(٣) محمود الزيادى، أسس عمل النفس العام، مرجع سابق، ص١٦٥.

تطور نمو الشخصية:

أثناء مرحلة الطفولة المبكرة يتعلم الطفل أن يفكر فى ذاته ويشعر بنفسه وتنمو صورته عن نفسه أو مفهومه لذاته من طريقة معاملة والديه له، فمن المعروف أن الطفل مع نموه يكّون أحكامًا على الآخرين وفى نفس الوقت تنمو اتجاهاته نحو نفسه(١).

وهذه الاتجاهات هى ما نسميها بمفهوم الذات، وتعلم هذه الاتجاهات أمر يتم تدريجيًا:

فالطفل يتعلم أولاً أنه كائن منفصل ومتمايز بجسده عن الآخرين واستجاباته لاحساساته البدنية هى بداية استجاباته نحو ذاته، بعد ذلك يتعلم الاستجابة لسلوك الآخرين ويتعلم كذلك الاستجابة لسلوكه، يدرك أمه مثلاً على أنها رقيقة وودودة ويرى أباه قويًا ومقتدرًا، ثم يدرك ذاته بوصفها ذات صفات معينة(٢).

لهذا نرى جلاسنر Glasner يقول: إن مفهوم الطفل عن نفسه كشخص يتكون داخل رحم العلاقات العائلية.

وليست هناك مجموعة من الأطفال فى مرحلة ما قبل المدرسة إلا وبينهم فروق فردية واضحة فى الشخصية وفى السلوك الاجتماعى حيث تساعد الملاحظة العارضة على التمييز بين الخجول المنسحب من الجرىء الصاخب، وهذا الاختلاف البارز عند أطفال الخامسة عن أطفال الثانية يرجع إلى الاكتساب السريع للعادات الجديدة وإلى تزايد الادراكات الحسية، وازدياد الاتصال بالبيئة الاجتماعية وادراكها والوعى بها(٣).

ولا تتكون الانا الاجتماعية إلا بعد أن يندمج الطفل فى حياة اجتماعية تتسع دوائرها تبعًا للظروف وبمرور السنين.

---

(1)Ralph Gemelli M. D, Normal child Adolescent development,Washington, American psychiatric press inc, 1996, P.377.

(٢) محمود الزيادى، أسس عمل النفس العام، مرجع سابق، ص٢٧٦.

(٣) چون كونجر وآخرون، مرجع سابق، ص٣٣١.

ومن الأمور التى تسهم فى تكوين الانا الاجتماعية الأشياء التى يعتبرها الطفل ملكًا دون غيره كوالدته، ولعبه، واسمه الشخصى فشخصيته موجودة ضمنًا فيما يرى أنه خاص به أى فى الأشياء التى يقول إنها له[١].

فالتفاعل الاجتماعى يساعد على امتداد الذات واتساع آفاقها وردود فعل الكبار تسهم فى تكوين صورة الذات لدى الطفل فعن طريق التفاعل المتبادل مع الكبار والوالدين يمكنه أن يقارن بين سلوكه الواقعى وما هو متوقع منه[٢].

وباتساع العالم الاجتماعى للطفل بدخوله المدرسة تبدأ عوامل لها أهميتها فى التأثير على نمو شخصيته.

فقد أصبح يرى نفسه من خلال معلميه وزملائه فى الفصل والمدرسة وجيرانه، بل أن والديه أصبحا يستجيبان له بطريقة مختلفة، ولأن اتجاه الطفل نحو ذاته يتأثر باتجاهات الأشخاص المهمين نحوه فإن مفهومه لذاته يتكون من تقديراتهم له، فإذا كانت هذه التقديرات إيجابية تكون لديه مفهوم ايجابى للذات[٣].

ومع ازدياد الوقت الذى يمضيه الطفل مع أطفال آخرين، يصبح عارفًا بحقيقة وجود سمات شخصية يقدرها الأطفال الآخرون، وأن هناك سمات أخرى يكرهونها، ومبرور عام وراء آخر تصبح شخصية الطفل أكثر ثباتًا فى نمط معين محدد.

وإن كان هناك الكثير من العوامل التى قد تؤدى إلى حدوث تغيرات فى شخصية الطفل، فالخبرات على أرض الملعب أو المدرسة قد تؤدى بالطفل إلى الثقة فى ذاته بالرغم من أنه يعانى من نقص فى هذه الصفة، بل حتى أن التعليم الاجتماعى البسيط قد يؤدى إلى تغيرات هامة فى خصائص الشخصية. ولذلك فإنه بفرض أننا نستطيع أن نقيس شخصية أطفال المدرسة بدقة مطلقة فإنه من غير المحتمل أننا نستطيع أن نخرج من تلك المقاييس بمعرفة نوع فردية الراشد التى سيصير إليها كل طفل[٤].

---

(١) يوسف مراد، مرجع سابق، ص٣٧٤.

(٢) سيد غنيم، سيكولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص٢٠٨.

(٣) امال صادق، فؤاد أبو حطب، مرجع سابق، ص٢٣٨.

(٤) سعدية بهادر، مرجع سابق، ص٣١٥.

وفى مرحلة الطفولة المتأخرة يتجه الطفل إلى التوحد مع شخصيات خارج نطاق الأسرة كما فى الشخصيات التاريخية أو نجوم المسرح والسينما أو فى عالم الألعاب الرياضية أو القادة السياسيين حيث يبدأ فى تكوين الذات المثالية أى نوع الشخص الذى يجب أن يكون عليه.

ففى البداية يكون المثل الأعلى على أساس ما يوجد فى عالمه الواقعى من آباء ومعلمين ومع اتساع آفاقه تمتد مثله العليا ويصبح بعض الأشخاص الذين لا يعرفهم ولكن يسمع عنهم أو يقرأ لهم هم نواة هذه الذات المثالية.

ويتحدد النموذج الذى يستحوذ عليه بجاذبيته إلى حد ما فى ضوء مهاراته وشخصيته، ومقدار ما تحدثه أسرته وأصدقاؤه من ضغط عليه لكى يتخذ الدور الجنسى المناسب له[1].

بعض العناصر المؤثرة فى تطور سمات الشخصية

الدور الاجتماعى وسمات الشخصية:

الدور الاجتماعى هو وظيفة الفرد فى الجماعة التى تحدد سلوكه ومكانته ومركزه ووضعه فيها وفقًا لمعايير الجماعة، فالدور هو الدلالة الوظيفية للفرد فى الجماعة أو هو الشخصية كما تكشف عن نفسها فى نمط معين من السلوك نحو الجماعة[2].

والدور إما أن يكون دورًا مفروضًا بمعنى طائفة من الأنماط السلوكية التى يتوقع من الفرد تحقيقها أو مسايرتها والوصول إليها أو دورًا متحققًا بمعنى طائفة من الأنماط السلوكية قام الفرد بتحقيقها بالفعل[3].

ويلاحظ أنه ليس للفرد دور اجتماعى واحد بل تتعدد أدواره الاجتماعية حسب الجماعات المختلفة التى يشارك فيها ففى موقف العمل الرسمى نجد الادوار مرتبطة بعدة مراكز تتناسب مع الوظائف التى يقوم بها الفرد ومناصبه فيها.

وفى الجماعات غير الرسمية تتصف الأدوار بأنها عامة فليس للفرد دور واحد بل

---

(١) چون كونجر وآخرون، مرجع سابق، ص٤٥٦.

(٢) الحسين عبد المنعم، المحددات البيئية للسلوك الاجتماعى، مرجع سابق، ص٥٩.

(٣) أحمد عبد العزيز، عبد السلام عبد الغفار، مرجع سابق، ص٩١.

أدوار متعددة: فالمدير الذى يقوم بدور محدد فى مؤسسته هو أيضًا زوج، وأب، وابن فى أسرته[١].

وأداء الدور مرتبط بصورة وثيقة بالتوقع لردود فعل الآخرين.

وعندما يقوم الطفل بأداء دور أمه أو ابيه فإنه يقلد أفعالهما ويدمجهما فى سلوكه، ويؤديها على أنها أفعاله، وبهذه الطريقة فإنه يتكلم ويسلك ويفعل كما يفعلان ويسلكان ويتكلمان. وكلما اتسع مجال مشاركته فإنه يتعلم أن يؤدى أدواراً أخرى، وتزداد أكثر وأكثر مجال رؤيته، وبالتالى يتعلم أن يسلك كما يسلك الآخرون داخل ثقافته[٢].

وبالنسبة لنمو الشخصية فإن أهمية الدور تتضح فى ثلاث نواحى:

١ـ الضبط: فنحن نستدل على نمو الشخصية من حكمنا على قدرة الفرد على القيام بعديد من الأدوار وما يتطلبه كل منها من ألوان السلوك المختلفة، فالطفل الصغير فى بداية عهده بالحياة يكون له دور واحد هو دوره كطفل ثم مع النمو والنضج وتعرضه للمواقف المختلفة ومروره بالعديد من الخبرات فى مواقف الحياة الاجتماعية وتفاعله مع الآخرين نتوقع أن ينمى سلوكه بشكل يتفق مع الأدوار المفترض القيام بها.

٢ـ تنمية السمات: قد تواجهنا بعض الصعوبات عند تفسير سلوك الدور الذى يقوم به فرد معين، فقد نواجه أحيانًا ببعض ألوان السلوك المتعارضة أو المتناقضة فى الظاهر، فالشخص قد يكون قاسيًا وصارمًا مع مرؤسيه، رقيقًا رحيمًا مع زوجته وأولاده، لكن مع تفسير مطالب الدور فى الحالتين ينتهى التناقض.

٣- نمو فكرة الذات: فنحن فى قيامنا بسلوك الدور إنما نعبر عن نظرتنا لأنفسنا وفكرتنا عن ذواتنا وما نعتقد أنه يمثل مطالب الدور الذى نقوم به. فالطفل يتعرض فى نموه لعديد من مطالب الدور حتى ينمو نموًا سليمًا. فإذا استمر

(١) محمود فتحى عكاشه، محمد شفيق زكى، مرجع سابق، ص٣٢.

(٢) عادل أحمد عز الدين الأشول، مرجع سابق، ص٧٣.

المحيطون به ينظرون إليه كطفل رغم تقدم السن به، فقد يحدث له تثبيت عند هذا المستوى الطفلى[١].

فالنظم الاجتماعية والثقافية تدفع الطفل إلى قبول قيم معينة ومن ثم يقوم بأنماط سلوكية تتناسب مع الثقافة، ويعبر عن هذه المطالب والحاجات من خلال أوجه الحياة كتوقعات ينتظرها الآخرون منه.

وهذا هو ما يحدد الدور الذى يمكن أن يقوم به الطفل فيما بعد فإن ما يحدد الدور هو ما يراه الفرد من سلوك يجب أن يؤديه بالاضافة إلى ما يتوقعه منه الناس.

والأطفال الذين دربوا على تحديد أدوارهم ووضحت لهم هذه الأدوار بصورة دقيقة يستطيعون أن يتصرفوا فيما بعد بشىء من الحرية والتلقائية والمرونة.

والطفل يرى ويعرف نفسه فى ضوء علاقاته بالغير وهذا يمكنه من تحقيق ذاته وبالتالى يحقق دوره بالمشاركة فى أوجه النشاط المختلفة[٢].

التقبل والرفض وسمات الشخصية:

التقبل هو ما يظهره الوالدان من حب لطفلهما تبعث فى نفسه الاحساس بالطمأنينة والثقة والأمن.

فالأم التى تؤدى مطالب طفلها دون رغبة منها تصاب بالتوتر ينعكس على الطفل فيبدى علامات القلق والاضطراب وسرعة الغضب والشعور بالاحباط والكراهية.

بينما الأم التى تؤدى مطالب طفلها عن تقبل ورغبة تكون فى وضع غير متوتر مما يجعله يميل إلى الهدوء والشعور بالارتياح. مما ينعكس أثره فى تكوين علاقات اجتماعية ناضجة مع الآخرين[٣].

---

(١) سيد غنيم، مرجع سابق، ص١٤٩.

(٢) كامليا عبد الفتاح، مستوى الطموح والشخصية، مرجع سابق، ص٦٥.

(٣) نجوى سيد عبد الجواد، مدى انعكاس التأثير التربوى للعلاقة الأسرية بين الأم والطفل على تحصينه ضد السلوكيات العدوانية، المؤتمر العملى الثانى لمعهد الدراسات العليا للطفولة: أطفال فى خطر، ٢٦ - ٢٩ مارس ١٩٩٤، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٩٤، ص١٠٨.

وافراط الأم فى التقبل لا يقل خطرًا عن الحرمان منه حيث أن تلبية جميع رغبات الطفل يؤدى إلى خلق طفل مسيطر أنانى مضطرب انفعاليًا.

والرفض والنبذ يؤثر بقوة على اتجاهات الطفل نحو نفسه ونحو أسرته فالطفل الذى ينبذ يبدو مدركًا فى وضوح لاتجاهات الوالدين نحوه.

ويرى نفسه غير مرغوب فيه أى أنه يبدأ فى تمثل اتجاهات والديه نحوه ويغلب أن يكون سلوكه غير متوافق[١].

ولقد قارن سيموندز بين خصائص الشخصية والتوافق الاجتماعى لمجموعتين تتكون الأولى من ٣١ طفلاً منبوذًا وتتكون الثانية من ٣١ طفلاً مقبولاً وأظهر الأطفال فى المجموعة المقبولة سلوكًا مقبولاً وكانوا أكثر تعاونًا وودًا وأمانة، واستقرارًا من الناحية الانفعالية.

أما الأطفال فى المجموعة المنبوذة فكانوا غير مستقرين انفعاليًا، وذوى نشاط زائد، وكانوا يسلكون أنواعًا من السلوك تستهدف جذب انتباه الآخرين[٢].

السيطرة والخضوع وسمات الشخصية:

يقصد بالآباء المسيطرين أولئك الذين يبذلون قدرًا كبيرًا من الضبط والسيطرة على طفلهم، وهم صارمون معه وذوى سلطة وحزم ويعاقبونه أو يهددونه بالعقاب.

ويقصد بالآباء الخاضعين أولئك الذين يسمحون للطفل بدرجة كبيرة من الحرية ويسيطر عليهم الطفل وعليهم أن يسايروا رغباته وحاجاته ويتسامحون معه ولا يرفضون له طلبًا[٣].

واستجابة الشخص للسلطة كأى تصرف اجتماعى له أسسه العميقة فى سنينه الأولى، وفى أكثر سنين الطفولة مرونة يكون الطفل معتمدًا على والديه ومن هم

(١) نبيل حافظ وآخرون، سيكولوجية النمو، القاهرة، جامعة عين شمس، كلية التربية، ١٩٩٤، ص١٩٣.

(٢) چون كونجر وآخرون، مرجع سابق، ص٤٨٤.

(٣) نبيل حافظ وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٤.

أكبر منه فى معيشته. والأم هى أول مصدر للسلطة بالنسبة للطفل وهى أيضًا مصدر لاشباع احتياجاته.

والطريقة التى يتعلم بها الطفل الطاعة تؤثر فى طريقة مقاومته، وخبراته فى المقاومة تؤثر على طاعته.

فالطفل الذى يكون والداه مسيطرين ومتحكمين ينشأ بطبيعة الحال مطيعًا بل زائد الخضوع.

والأطفال الذين ينشئون فى بيت تسوده الروح الديمقراطية أظهرت الدراسات أن شخصياتهم تتأثر تأثرًا ايجابيًا[1].

ولكى يتيسر للوالد أو المدرس أن يضبط سلوك الطفل، فإن السلطة هى الوسيلة الأساسية لاستتباب النظام، وتؤدى دورًا هامًا فى عملية التعلم لأنها تعزز من مركز ما يوحى به الكبار وبذلك تزيد من قدرتهم على استثارة اهتمام الأطفال.

(١) ج.ب. جيلفورد وآخرون، ميادين علم النفس: النظرية والتطبيقية، ترجمة يوسف مراد وآخرون، الطبعة السادسة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤، ص١١٦.